المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 04-06-2008 العـــدد : 16478
الصفحـات : 26 المسلسل : 161

إسبانيا أقرب دول أوروبا من العالم العربي ومن أكثرها إنصافاً للقضايا العربية

زيارة ولي العهد لإسبانيا مرحلة جديدة من الشراكة الاستراتيجية

إبراهيم عباس - جدة

تنطوي زيارة صاحب السمو الملكي ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران المفتش العام الأمير سلطان بن عبد العزيز الرسمية لإسبانيا على أهمية خاصة نظرًا لأنها تتم في توقيت بالغ الأهمية، إلى جانب ما تمثله من استمرار للنهج السعودي المتمثل في انفتاح الدبلوماسية السعودية على العالم من أجل إقامة علاقات متوازنة مع الجميع شرقا وغربا، والمتمثل أيضا في دعم العلاقات الثنائية مع الدول المتقدمة اقتصاديًا وتكنولوجيًا والمؤثرة سياسيًا بهدف تحقيق مزيد من التعاون في المجالات الاقتصادية والعلمية، ومزيد من التوافق البناء في القضايا العالمية ذات الاهتمام المشترك لا سيما في ظل التقارب في وجهات النظر بين الرياض ومدريد إزاء العديد من القضايا الإقليمية والدولية، وفي مقدمتها قضية السلام في الشرق الأوسط، والتصدي للإرهاب الذي تبذل الدولتان جهودًا كبيرة في مكافحته على الأصعدة الوطنية والإقليمية والدولية.

وإذا أضفنا إلى ذلك ما تهدف إليه مثل هذه الزيارات التي تتواصل على أعلى المستويات بين البلدين من تمتين وتطوير لآفاق العلاقات الثنائية بينهما بما في ذلك العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية سندرك إلى أي مدى يمكن أن تسهم فيه تلك العلاقات في خدمة المصالح المشتركة للبلدين الصديقين، وخدمة القضايا التي تهمهما، لا سيما وأن هذا التعاون، وذلك التوافق في المواقف والآراء يصدر عن دولتين لهما ثقلهما المتميز ومكانتهما المرموقة في المجتمع الدولي: المملكة باعتبارها قبلة المسلمين في جميع أنحاء العالم وحاضنة الحرمين الشريفين، ومهد الحضارة الإسلامية، وباعتبارها أحد أكبر منتج ومصدر للطاقة في العالم، وأيضا لدورها المتنامي في خدمة قضايا الأمن والسلام في منطقتها وفي العالم، وإسبانيا باعتبارها تأمن قوة اقتصادية في العالم، وإحدى أهم دول الاتحاد الأوروبي وأحد أهم المراكز الحضارية في أوروبا، وأيضا باعتبارها إحدى الدول التي تملك القدرة على صنع القرار، ولأنها جغرافيًا أقرب دول أوروبا للعالم العربي ولدورها المتميز في خدمة قضايا العدل والسلام وفي مقدمتها قضية السلام في الشرق الأوسط من خلال موقفها المنصف والعادل إزاء تلك القضية.

نقلة نوعية

وقد شهدت العلاقات السعودية - الإسبانية نقلة نوعية على إثر الزيارة التاريخية التي قام بها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - حفظه الله - لإسبانيا العام الماضي في نفس هذا الشهر، وحيث عكست الزيارة متانة العلاقات الوطيدة بين المملكتين باعتبارها المحطة الأولى في جولة خادم الحرمين الشريفين في جولته الأوروبية، وأيضا من خلال الاستقبال الحافل والمتميز الذي أعد له، وحيث أنه على غير العادة توجه العاهل الإسباني الملك خوان كارلوس إلى مطار باراخاس ليستقبل الملك عبدالله بن عبدالعزيز بينما يتم في العادة مراسم الاستقبال في قصر برادو.

ولعل منح وشاح «تويسون» من قبل الملك خوان كارلوس إلى خادم الحرمين الشريفين عقب مراسم الاستقبال في قصر برادو يعد من أبرز الأحداث التي شهدتها الزيارة وحيث تحدث عدد من وسائل الإعلام الإسبانية عن منح خادم الحرمين الشريفين ذلك الوشاح والذي يعد من أنبل الوشاحات في أوروبا.

وقد أكدت الزيارة على احترام وتقدير وتأييد مدريد المطلق لسياسة الملك عبد الله بن عبد العزيز الرامية إلى ترسيخ قيم الاعتدال والتسامح، والعمل على إقرار الأمن والسلام والاستقرار في

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 04-06-2008 العـــدد : 16478
الصفحـات : 26 المسلسل : 161

منطقتها وفي العالم.

علاقات فوق العادة

والواقع أن مابين المملكة وإسبانيا يتجاوز معنى علاقات الصداقة التقليدية وأطر المصالح المشتركة ، كونه يعكس تراثًا حضاريًا ضخمًا من التعايش والتأثير المتبادل بين العرب والإسبان في إطار حقبة من الزمن الجميل لواحدة من أبرز الحضارات الإنسانية عندما انصهر العرب والإسبان في بوتقة حضارية واحدة على مدى ثمانية قرون ولينطلقا معًا في آفاق العلم وميادين المعرفة وليبنوا معًا صروحًا شامخة وتراثًا واحدًا لا يزال شاهدًا بآثاره الخالدة مساجد وقصورًا ومعاهد ومدنًا زاهرة على عظمة هذه الحضارة التي قدمت الدليل الساطع على عدم صحة مقولة كيبلنج «الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا» لأنهما التقيا بالفعل في الأندلس وأسسا معًا صرح هذه الحضارة التي لعبت دورًا كبيرًا في التأثير على أوروبا والممالك المجاورة لها عندما كان يقصد قرطبة العديد من أبناء أوروبا لطلب العلم وحيث لا تزال منطقة جنوب إسبانيا (الأندلس) تحتفظ بالعديد من المباني التي يعود تاريخها إلى عهد الدولة الإسلامية في الأندلس، وحيث تحمل اللغة الإسبانية كثيراً من الكلمات التي يعود أصلها إلى اللغة العربية.

وسيذكر العالم دائمًا أن جامعة مونبلييه ، بفضل هذه الحضارة ، ظلت تدرس ابن سينا حتى القرن التاسع عشر.وترتبط المملكة العربية السعودية وإسبانيا علاقات وطيدة بدأت عام ١٩٥٧م وترسخت عبر نصف قرن من الشراكة والتعاون والتنسيق .

ويجمع بين البلدين الصديقين العديد من القواسم المشتركة يأتي في مقدمتها الموقف من عملية السلام وبما يؤكد على تقارب وجهات النظر بين البلدين تجاه هذه القضية عبر عنه صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية في المؤتمر الصحفي المشترك الذي عقده سموه مع معالي وزير الخارجية والتعاون الاسباني ميجل موراتينوس على هامش زيارة العاهل الإسباني الأخيرة للمملكة بقوله : «إن العلاقات بين بلدينا في هذا الصدد تنطلق من أرضية مشتركة فمديد انطلقت منها عملية السلام في الشرق الأوسط وأسفرت عن وضع أسس للسلام على مبدأ الأرض مقابل السلام وقرارات الشرعية الدولية، والرياض انطلقت منها المبادرة العربية للسلام على مبدأ الانسحاب الكامل مقابل السلام الشامل».

مواقف إيجابية

وتعتبر إسبانيا ثاني أكبر الدول الأوروبية (بعد فرنسا) التي تقدم المعونات للشعب الفلسطيني ، وثالث أكبر دولة في قوات اليونفيل التي تساهم في حفظ السلام في جنوب لبنان. وتجدر الإشارة هنا إلى أن إسبانيا رحبت ، ومنذ الوهلة الأولى، بمبادرة السلام السعودية التي أطلقها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز عندما كان وليًا للعهد ، ثم تبنتها قمة بيروت العربية في مارس ٢٠٠٢ تحت مسمى مبادرة السلام العربية . كما رحبت إسبانيا أيضا باتفاق مكة المكرمة بين فتح وحماس باعتباره خطوة مهمة في الاتجاه الصحيح ، كما رحبت باتفاق الفرقاء اللبنانيين الذي تم مؤخرًا في الدوحة ، وهو ما يعتبر في المحصلة موقفا إيجابيا يعكس صدقية السياسة الخارجية الإسبانية إزاء المنطقة.

ويوجد في إسبانيا حاليا حوالى نصف مليون مسلم يتطلعون بأمل إلى مثل هذه الزيارات لما يمكن أن تسفر عنه من مكاسب معنوية لهم بما تبرزه من المكانة الإسلامية والرسالة السامية لمملكة الإنسانية باعتبارها رائدة العمل الإسلامي والتضامن العربي والمواقف الإنسانية وخادمة الحرمين الشريفين والساهرة على خدمة قضايا أمتها.

ويوجد في منطقة مرديد وحدها أكثر من ٦٠ ألف مسلم ، والتي أهداها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - يرحمه الله - مركزا ثقافيا إسلاميا يتسع لثلاثة آلاف مصلى ويعتبر مرجعا في الشأن الإسلامي وأحوال المسلمين للحكومة والإعلام الإسباني افتتحه أمير منطقة الرياض سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز والملك خوان كارلوس أثناء زيارة سموه لإسبانيا عام١٩٩٢م ، وحيث يعتبر اليوم صرحا ثقافيا كبيرا وشاهدا حضاريا على عمق العلاقات الودية بين المملكة العربية السعودية وإسبانيا وعلى متانة التواصل الثقافي والحضاري بين الأمة العربية والإسلامية من جهة والأمة الأسبانية من جهة أخرى .

ويرى العديد من المراقبين أن في الزيارة الرسمية الجديدة التي يقوم بها ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز لإسبانيا على رأس وفد رفيع المستوى بعد بضعة أيام فقط من زيارة العاهل الإسباني الملك خوان كارلوس للمملكة ولقائه خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز وتوقيع البلدين لاتفاقيتين جديدتين واحدة في مجال نقل الأشخاص المحكوم عليهم بأحكام سالبة للحرية بين المملكة وإسبانيا ، والأخرى في مجال التعاون السياحي بين البلدين ، وهو ما اعتبره المراقبون بمثابة دليل جديد على عمق وتنامي العلاقات بين البلدين الصديقين ، وحيث من المتوقع أن يتم التوقيع على المزيد من اتفاقيات التعاون بين سمو ولي العهد ومملكة إسبانيا خلال زيارة سموه لهذا البلد الصديق.

كما يرى المراقبون أن الفارق الضئيل بين الزيارتين (زيارة الملك خوان كارلوس للمملكة وزيارة سمو ولي العهد

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 04-06-2008 العـــدد : 16478
الصفحـات : 26 المسلسل : 161

لإسبانيا) من شأنه أن يدخل العلاقات الثنائية بين المملكة العربية السعودية ومملكة إسبانيا إلى منعطف هام ومرحلة جديدة من الشراكة الاستراتيجية.

التعاون الاقتصادي

الزيارات المتبادلة على أعلى المستويات بين المملكة وإسبانيا تعتبر مؤشرا واضحا على عمق ورسوخ وتنامي العلاقات بين البلدين الصديقين التي تعززها الاتفاقيات القائمة بينهما والتي تعتبر من أبرزها الاتفاقية الثقافية التي وقعت عام ١٤٠٤هـ والتي شملت التعاون في مجالات التعليم العالي والبحوث وتعليم اللغات وتشجيع التعاون بين الجامعات، واتفاقية التعاون في المجال الجوي والتي وقعت عام ١٤٠٨هـ إلى جانب مذكرة التفاهم بشأن المشاورات الثنائية السياسية بين وزارتي الخارجية في البلدين التي تم توقيعها في مدينة الرياض في الثامن من شهر ابريل عام ٢٠٠٦م بحضور خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود وجلالة الملك خوان كارلوس ملك مملكة إسبانيا والتي تعد واحدة من أهم الاتفاقيات الثنائية بين البلدين الصديقين. وجرى في المناسبة ذاتها توقيع اتفاقية تشجيع وحماية الاستثمار بين المملكة العربية السعودية ومملكة إسبانيا التي وقعها عن الجانب السعودي معالي محافظ الهيئة العامة للاستثمار الأستاذ عمرو الدباغ وعن الجانب الاسباني معالي وزير الصناعة والسياحة والتجارة خوسيه مونتيليا. والتي تهدف إلى تشجيع وحماية استثمار مواطني الدولتين في الدولة الأخرى من خلال توفير الأسس القانونية التي تساعد على زيادة النشاط الاستثماري مع منحهم المعاملة الوطنية ومعاملة الدولة الأولى بالرعاية.

كما أن مجلس الشورى سبق وأن أقر العديد من الاتفاقيات للتعاون بين المملكة وإسبانيا، منها اتفاقية لمنع الازدواجية الضريبية التي تم التوقيع عليها خلال زيارة خادم الحرمين الشريفين لإسبانيا العام الماضي، واتفاقية التعاون المشترك والتشاور.

وأثناء زيارة خادم الحرمين الشريفين لإسبانيا العام الماضي تم تأسيس الصندوق الإسباني – السعودي للبنية التحتية، والذي تم تمويله برأسمال خاص من الجانبين، ورعته وطورته حكومتا البلدين.

كما يعتبر تأسيس الصندوق الاستثماري بين رجال الأعمال في البلدين التي تصل قيمته إلى خمسة مليارات دولار للاستثمار المشترك في البلدين مظهرا آخر من مظاهر التعاون الاقتصادي بين البلدين الصديقين الذي يبلغ حجم التبادل التجاري بينهما أكثر من ٣٠,٥ بليون دولار أمريكي سنوياً، وحيث تعد المملكة العربية السعودية ثاني أكبر بلد في الشرق الأوسط تصدر لها إسبانيا بمبلغ ٧٧٠ مليون دولار سنوياً.

كذلك اشتملت حركة التبادل التجاري على منتجات الصناعة الكيماوية وما يتصل بها والمنتجات المعدنية واللدائن ومصنوعات الأنسجة والمعدات الطبية والجراحية والمصنوعات الخشبية والعديد من السلع والمنتجات الأخرى.

وتمثل واردات النفط السعودي نحو ٦ ٪ من احتياجات الطاقة في إسبانيا حيث تمثل السعودية المرتبة السادسة لمصدري النفط والغاز إلى إسبانيا، وقد قدرت الصادرات السعودية في عام ٢٠٠٥ بما قيمته (١٨٣,٢) مليار دولار حيث مثل النفط ٨٥ ٪ من قيمة هذه الصادرات.

ويشمل الاستثمار الإسباني في السعودية مجالات الكمبيوتر وتقنية الاتصالات وصناعات التعدين وتكرير النفط.

ومن جهة أخرى أصبحت السعودية شريكًا كبيرًا لإسبانيا في مجال الفنادق والعقارات.